في الدين

الصلاة نظام عمراني

إن الباحث المحقق في أسرار الشريعة لا يرى أن فرائض الاسلام ترمي الى النعيم في دار الآخرة فحسب ، فالصلاة اذا لوحظ فيها أنها عنوان التدين ، أو كما يقول الإسلام عماد الدين ، فمن غير الانصاف أن يكون عماد الدين هذا نتيجته الراحة في دار الآخرة وكفى ، اللهم الا إذا كانت نتيجة التدين في البشر مؤجلة الى النشأة الأخرى . وذلك غير الواقع ، فان الدين ضروري للعمران ، والصلاة وسيلة للتدين قال الله سبحانه وتعالى : « واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة ... الآية » ، سبق في علم الله أن يجعل له خليفة في الأرض ينوب عنه في عمرانها واصلاحها ، كما يبحث فيما أودع فيها من الاسرار والعلوم ، هذا الخليفة اريد من سابق الازل أن يقوم في ملك الموكل مطلق الحرية كامل التصرف فلا بد من اتصاله بالموكل بالسبيل الذي يناسبه من العظمة والجلال ، والاتصال بالموكل ضروري ليهتدي الوكيل الى ما يرمي اليه الموكل من الاغراض ، وما يقصد اليه من المرامي في اصلاح هذه المملكة ، وليس من سبيل الى ان يجلس الوكيل مع الموكل فيحادثه لامن وراء حجاب ، وليس من سبيل ايضا الا أن يرى الوكيل الموكل جهرة ويسمع كلامه كذلك ، لان التناسب في هذه الحياة المحدودة في كل شيء غير موجود ، بقيت المناداة والمناجاة من وراء الحجب ، والتعلق بالله من وراء الاستار والاشتغال بحضرته بالخضوع والاعتقاد ، بالتكبير والتعظيم ، بالركوع والسجود . وذلك هو الصلاة ، الصلاة ضرورية للانسان من حيث انه مكلف او مركوز في فطرته عمارة الارض ، فهو مضطر الى الفيوضات الالهامية التي تهديه ما يصلح الارض ويضمن بقاءها ونموها في العمران ، هذه الفيوضات انما تكون بوقفة العبد امام مستخلفه يملي عليه ما ما يريد به وبغيره مما جعله مستخلفا فيه ، قرأت لبعض فلاسفة الغرب اعترافا بان القوى الملهمة بالخير أقوى شعاعا في الانسان المعاني للفضائل منها في غيره ، وهذه النظرية تكاد تكون مسلمة بين العقلاء ، فلم يحدثنا التاريخ أن انسانا شريرا كشف للانسانية عملا نافعاً أو هدى الى فكرة صالحة ، بل المشاهد ان رجال العلم وأساتذة الاختراع وأساطين الفكر البشري أهل فضيلة وصلاح وان اختلف ذلك باختلاف الناس والمناطق والأديان ، فالنفس الانسانية عند مزاولة معاني التعبد

تخرج من حضيض الماديات والحسيات فتبدأ ثورتها على الحياة وتطمئن بذكر الله ، وحينئذ تسير بصاحبها سيراً هادئاً مطمئناً . فيكتسب الانسان من وراء هذه الطمأنينة قوة فى العقل يستعين بها على تذليل الصعاب العلمية وعزماً يقتحم به معترك الحياة الدنيوية ، وقوى فى الأخلاق يستعين بها على النفس الامارة بالسوء ، وباستكمال هذه القوى يتصلح الانسان فتتصلح الارض ، يدل على ماتقدم قوله عليه السلام ، لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، وجه الدلالة : ان العبد لما صلى لله أتمه عمارة الأرض فتمتع بالمال والبنين والكسب والازواج والصحة والجاه وقبول الدعوة واحترام الجماهير ومحبة الخلق وخضوعهم ونضارة الوجه ، وقوة الجسم وحسن السمعة والأحدوثة وقضاء المصالح ، وماذا يريد العبد بعد ذلك . الواقع ان العبد قد أخذ أجره موفوراً ، فلن يدخل الجنة من بعد ذلك الا أن يتغمده الله برحمته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، والعمران أيضاً يأتى من ناحية التعظيم للمعبود ، والعقول السليمة تشهد بوجوب تعظيمه وشكره ، والصلاة جامعة لانواع التعظيم التى اصطلحت عليها الامم من التعظيم بالقلب والذكر باللسان والخضوع بجميع البنيان

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

وعدم التعظم للمعبود عنوان على التمرد والمروق من الدين والدخول فى ميدان الفوضى الجثرية التى لانهاية لشرورها ، والتعظيم للمعبود يشعر الانسان بمراقبة القوانين الاجتماعية العامة ومحوطه بجملة الاوامر والنواهى ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصوفية من علماء الاسلام يقولون : ان الصلاة هى ميدان المشاهدة وطور التجليات ومدرسة المعارف الالهية والعلوم الربانية لقوله عليه السلام « وجعلت قرة عينى الصلاة »

محمد جابر
مدرس بمعهد أسيوط

عبرة المعلم الالزامى

عثرت فهل لى فى الحياة مقيل ... يتفس كربى إننى لذليل
أنى شرعة الانصاف أكدح دائبا ... سحابة يومى والجزاء قليل ؟
أحارب جيش الجهل فى كل قرية ... بآلات علم ما يمر فلول
بمصباح علمى أخرج الشعب من دجى ... هو الجهل داء للشعوب وبيل
جزائى على هذا مرتب لايق ... بحاجات عيشى أنه لضئيل

فرحان سليمان عواد
بالتعليم الالزامى